Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

النحو التعليمي الميسر عند الشلوبين في كتاب التوطئة

د/ شنان قويدر، جامعة محمد بوضياف – المسيلة-

النحو التعليمي الميسر عند الشلوبين في كتاب التوطئة

د/ شنان قويدر
جامعة محمد بوضياف – المسيلة-

الملخص: إن المقصود بالتيسير والتسهيل والتبسيط هو تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلم، أي التبسيط في كيفية تعليم النحو لا في النحو نفسه، لأنه علم محض ولا يعقل حذف بعض قوانينه وعلله. فصعوبة النحو تكمن في كيفية تعليمه لا في قواعده، وتيسيره يعني تسهيل طريقة عرضه وتدريسه على الطلاب. إن الكثير من النحاة عبر التاريخ يطالبون بتيسير المادة النحوية، لكونها متشعبة وتصعب على الدارس فهمها بسهولة، والمطالبة بما هو سهل ومرن، ومن ثم حاولنا معرفة مظاهر التبسيط والتسهيل من خلال كتاب التوطئة للشلوبين، وما اعتمده من آليات في تقديم مادة النحو لطلابه ومريديه.

الكلمات المفتاحية: النحو. التبسيط، التسهيل، الآليات، المرونة القواعدية، .....

Abstract

The facilitation, facilitation and simplification aims at simplifying the way the rules are presented to the learner, namely, simplifying the teaching of grammar instead of simplifying the rules, because it is a science and it is unreasonable to delete certain laws and rules. The difficulty of grammar lies in how it is taught not in its rules, and facilitating it means facilitating the way it is taught and taught to students. Many grammarians throughout history call for facilitating grammatical materials, because it is difficult for a student to easily understand, and claim what is easy and flexible, and then we tried to know this simplification and facilitation through the chaloubin Through his book Altawtia and the mechanisms in providing grammar for students and teachers .

Keywords: Grammar. Simplification, facilitation, mechanisms, normative flexibility,…….

النحو التعليمي الميسر عند الشلوبين

في كتابه التوطئة

بدأ اهتمام المغاربة والأندلسيين بمجال الدراسات اللغوية منذ دخول الفاتحين الأوائل إلى بلادهم. حيث كانت عجمة لسانهم حافزا لهم على تعلم لغة القرآن الكريم. ولعجزهم في قراءة القرآن في بداية الفتوحات للأندلس مما أدى إلى انتشار دور العلم وأصبحت حلقات المساجد تستقطب العديد من الدارسين يلقي المعلمون فيها دروسهم في مختلف المعارف مع التركيز على تعليم اللغة العربية.

فالنحو العربي قد لقي من الإقبال ما مكنه من تبوء المراتب الأولى ضمن مختلف العلوم اللغوية والأدبية فقد دخل النحو المغرب العربي والأندلس وأقبل عليه أهلها إقبالا واسعا بالدرس والتحليل ومحاولة كشف غوامضه وتذليل صعابه من أجل فهمه واستيعابه فنال من العناية والاهتمام ما لم ينله علم آخر[1] . لقد ظهرت الدعوة إلى تيسير النحو مع ابن حزم الأندلسي ثم تبنى هذه الفكرة ابن مضاء الذي ثار على نحو المشرق محاولا بناء نحو جديد يخلو من التعقيدات التي ملأت كتب ومصنفات القدامى، وهذه التعقيدات التي أثارت حركات متتالية كان أشهرها في الأندلس ثورة ابن مضاء وما تلاها من محاولات لتسهيل علم النحو وتبسيطه.

التعريف بمشكلة البحث: إن المقصود بالتيسير والتسهيل والتبسيط هو تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلم أي التبسيط في كيفية تعليم النحو لا في النحو نفسه، لأنه علم محض ولا يعقل حذف بعض قوانينه وعلله[2] . فصعوبة النحو تكمن في كيفية تعليمه لا في قواعده، وتيسيره يعني تسهيل طريقة عرضه وتدريسه للطلاب.

حدود البحث: إذا كان الكثير من النحاة عبر تاريخ البحث اللغوي العربي يطالبون بتيسير المادة النحوية لكونها متشعبة، وتصعب على الدارس فهمها بسهولة، والمطالبة بما هو سهل ومرن، ومن ثم حاولنا معرفة مظاهر التبسيط، والتسهيل من خلال كتاب التوطئة للشلوبين، وما اعتمده من آليات في تقديم مادة النحو لطلابه ومريديه.

مصطلحات البحث: النحو. التبسيط، التسهيل، الآليات، كيفيات التعلم ...

ظلت الدعوة إلى تيسير النحو العربي قائمة في بلاد المغرب والأندلس، وظلت محاولات مدرسي النحو ومعلمي العربية، هي تصحيح استعمال العربية نطقا وقراءة وكتابة وهذا لا يتحقق بالمصنفات الكبيرة.وإنما ينبغي على واضع الكتب النحوية التعليمية أن تكون مبسطة وسهلة التناول، بعيدة عن كل ما من شانه أن يصد الدارس عن شغف التعليم.

أهمية البحث: نحاول أن نستثمر تصور الشلوبين في عملية التيسير ومحاولة استثمار هذه الطرائق في عرض مادة النحو لفئات غير قليلة من طلاب العلم النحوي. وعلى النظريات التعليمية في ميدان القوانين اللغوية أن تنحوا سبيل التبسيط والتيسير.

أهداف البحث: ينشد العمل معرفة الآليات التي اعتمدها صاحب كتاب التوطئة ونجاعة آلياته إجرائيا في العملية التعليمية التعلمية.

قد كان للشلوبين من المؤلفات "شرح مقدمة الجزولي، شرح كتاب سيبويه، شرح جمل الزجاجي سماه الاعتراض والانفصال فيما نسب فيه صاحب الجمل في كلامه إلى الاختلال[3] . وحين معالجته لموضوعاتها النحوية كان مسهبا ومكثرا وناقدا ومؤولا ومغلبا تصورا على أخر، ولكنه في التوطئة كان مقللا من الشرح وموجزا الموضوعات إلا ما كان لضرورة التبيين. كما اهتم الشلوبين بشرح الكتب التي رأى أنها تحتاج إلى اهتمام أكبر من أجل فهمها وإدراك ما تحمله من قواعد ومسائل نحوية.

أما منهجه على العموم فشأن الشلوبين كغيره من نحاة عصره من الأندلسيين ونحاة المغرب العربي الذين لم يتشيعوا لأراء مدرسة معينة فنجده في بعض الآراء يؤيد مدرسة البصرة وفي أراء أخرى يساند مذهب الكوفة إضافة إلى أراء من مذهب بغداد ونحاة المغرب والأندلس.

كان الشلوبين كثير الاعتماد على السماع يعتبره أساسا لاعتبار القاعدة النحوية، وبما أن نشاطه الفكري جاء بعدما استكمل النحويون مباحث السماع الذي نراه يشير إليه بالنظير فهو ضمن هذا التوجه لا يقبل أية صيغة، أو أي تركيب ما لم يكن له نظير مسموع عند العرب"[4]. فنراه في هذا الجانب يميل أكثر إلى مذهب الكوفيين الذين يعتبرون السماع أساس القاعدة النحوية. وعلى هذا فكتاب التوطئة للشلوبين يعرض أهم مناهج تسهيل النحو وتخفيف أعبائه وتذليل الصعوبات التي عقدته وجعلت الدارسين ينفرون منه[5].

مظاهر التيسير والتسهيل في كتاب التوطئة للشلوبين:

العلامة إمام النحو أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأردي الأشبيلي الأندلسي النحوي الملقب بالشلوبين (562هـ-645هـ) ولد باشبيلية. كان إماما في العربية لا يشق غباره ولا يجارى. تصدر لإقرائها ستين سنة ثم في أواخر عمره ترك الإقراء لإطباق الفتن واستيلاء العدو قال عنه ابن الآبار، كان أنيق الكتابة أخذ عنه علماء لا يحصون له على الجزولية شرحان والعديد من المصنفات أشهرها التوطئة[6].

أشار ابن خلدون إلى المناهج الدراسية في الأندلس فذهب يقول: "أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتابة وجعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم الولدان رواية الشعر، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجربة الخط والكتابة..."[7].

كتاب التوطئة[8]: يعد كتاب التوطئة من أشهر الكتب النحوية المختصرة ألفه صاحبه لخدمة النحو العربي وتسهيله على الطلاب والمريدين وقد تعرض له عدد من العلماء المختصين في الحديث عن المؤلفات النحوية ومن هؤلاء:

- ابن الزبير: ذكر أن الشلوبين ألف كتاب التوطئة للكراسة المذكورة أيضا تتميما وتحريرا[9].

- ابن خلدون: للشلوبين كتابا في النحو سماه التوطئة.

- يقول عنه السيوطي: صنف تعليقا على كتاب سيبويه وشرحين على الجزولية وله كتاب في النحو سماه التوطئة[10]. كما ذكره حاجي خليفة وكتاب التوطئة هو شرح للمقدمة الجزولية لأبي موسى الجزولي، وهو يتسم بالإيجاز لبقية الشروح.

ويوضح الشلوبين في مقدمة كتابه الهدف من هذا التأليف وهو التسهيل والتيسير والإحكام والضبط لمحتويات الكتاب فهو يقول: هذه الجملة التي رسمت هنا توطئة قوانين المقدمة. وأحكام ما فيها من الأصول غير المحكمة. واصلا فرع ذلك بأصله في اللفظ ميسرا، ينظم ذلك كله كلاما واحدا للحفظ.(التوطئة مقدمة المحقق).

فكلام الشلوبين يوحي لنا بشكل واضح أن الهدف الذي لأجله وضع الكتاب هو التسهيل والتيسير لغاية الحفظ. وفهم قواعد النحو وأحكامه على أصوله التي وضع عليها حين وضع. وقد حاول ألا يشق على الدارس بالإطالة. فضغط شرحه وأوجزه وضمنه كل ما يريده الدارس من معرفة في أبواب النحو عامة فجاء كتاب التوطئة دسما مع إيجازه مشبعا لنهج الدارسين بل مرجعا للمتخصصين. وعد بعضهم هذا الكتاب مختصرا لكتاب آخر للشلوبين هو "القوانين في علم اللغة العربية".

أبواب ومحتوى الكتاب: يقع كتاب التوطئة في (230 صفحة) مائتين وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط مسبوقا بمقدمة ودراسة للمحقق حوالي (110) مائة وعشرة صفحات جمع فيه صاحبه أبواب النحو المختلفة.

- بدأه بباب الكلام وما يتألف منه. وبعده تحدث عن المعرب والمبنى، وعلامات الإعراب، وغيرها من الأبواب النحوية المختلفة التي طرحها وشرحها وبين رأيه فيها. وقد ختم كتابه التوطئة بالحديث عن الإدغام.

- جمع الشلوبين في كتابه بين موضوعات النحو مثل: الفعل والفاعل والتوكيد والمفعول والنداء والاستثناء وغيرها.وبين موضوعات علم الصرف فتحدث عن مصادر الأفعال الثلاثية (ص333). وتحدث عن التصغير والنعت وجمع القلة والمصدر الميمي والإمالة والإدغام (ص290-295-323-334-335-339).

وجاء الكتاب شاملا لبعض قضايا الإملاء مثل همزة الوصل (ص294). وقد جاء كتاب التوطئة جامعا شاملا مختصرا لكل ما جاء فيه حيث ظهرت فيه رغبة مؤلفه وهي التسهيل والتيسير، ويمكن رؤية مظاهر هذا التيسير من خلال الملاحظة المتفحصة والقراءة الفاحصة لأبواب الكتاب. يتجسد هذا المنحى التيسيري في مقارنة كتاب التوطئة مع كتب أخرى مثل الجزولية أو شرح المفصل. فقد توجه بكتابه التوطئة للطلاب والمريدين، وشرح الجزولية للعلماء والنحاة.

مظاهر التيسير

1/ اسم الكتاب: اختار أبو علي الشلوبين لمصنفه هذا اسما يعطي القارئ والمطلع عليه أن صاحبه يرغب في التخفيف والتسهيل فالعنوان يوحي لنا بذلك وهذا الكتاب ما هو إلا مقدمة ومدخل للذي يريد دراسة علم النحو بالتفصيل. من نافلة القول أن الذي يسعى إلى تأليف كتاب أو يضع رسالة يصدرها بتوطئة أو مقدمة أو تمهيد يبين فيها أجزاء رسالته أو كتابه وكذلك فعل الشلوبين فعلم النحو علم عظيم، لا يسعه كتاب أو مجلد وما الموسوعات النحوية التي ألفت إلا دليل على ذلك وعلى هذا.

اختيار الشلوبين لكتابه اسم التوطئة ليوضح للدارسين أن هذا الكتاب ما هو إلا مدخل وتوطئة لعلم النحو العربي، فالذي يريد أن يتعلم النحو ليستقيم لسانه ويحسن قوله فهذا الكتاب يكفيه. أما من يريد التخصص فيه ليصبح عالما ومتخصصا فما هذا الكتاب إلا توطئة ومدخلا له، وعليه بعد ذلك البحث عن علم النحو في أمهات كتب النحو الضخمة. ككتاب سيبويه ومقتضب البرد وخصائص ابن جني وغيرها من الكتب النحوية.

إن اختيار عنوان لكتاب فن ليس من السهل إتقانه وقد درج علماء النحو في الأندلس في مسألة اختيار عناوين كتبهم مما يناسب محتواها العام (الزبيدي اختار الواضح لأنه احتوى أبواب النحو بشكل واضح ومرتبا، واختار ابن عصفور الممتع في التصريف، ليقرب الصرف للطلاب ويحببهم إليهم).

2/ الترتيب في عرض الموضوعات: لقد اتبع الشلوبين في ترتيب موضوعات كتابه طريقا يناسب الهدف الذي من أجله وضع الكتاب، وهو تعليم النحو للمبتدئين من الطلاب. فقد بدأه بأصل الكلام وما يتألف منه. وأتبعه بالمعرب والمبني ومعظم أبواب النحو العربي، وقد راعى في ترتيب موضوعات هذا الكتاب التناسق بين تلك الموضوعات، فالأبواب المتصلة ببعضها جعلها تتبع بعضها مثل باب "إن وأخواتها" الذي أتبعه بباب "فتح همزة إن وكسرها" وحين تحدث عن المصادر الثلاثية أتبعه بالمصدر الميمي مشابها بذلك منهج الكتب المدرسية اليوم وما إلى ذلك في ترتيب واضح في وضع الأبواب النحوية المختلفة.

3/ سهولة اللغة والأسلوب : أسلوب الشلوبين في طرق الموضوعات وتوضيحها سهلا واضحا اقرب ما يكون إلى الأسلوب المتبع في الكتب المدرسية، فهو يضع عنوانا واضحا لكل باب ومن ثم نراه يقدم تعريفا للموضوع المطروق مدعما ذلك بالأمثلة الواضحة وأحيانا يستشهد بالشواهد اللغوية المختلفة، ومن ثم يدخل إلى موضوعه بكل يسر وسهولة يناقش قضاياه وموضوعاته

بطريقة سهلة موجزة، بعيدة عن اللغة النحوية من حيث سهولة الألفاظ وتجنب حوشيها الصعب، فلغة الكتاب سهلة لا تحتاج إلى شرح أو توضيح.

إن هذا الأسلوب الذي أتبعه الشلوبين في التوطئة، وهذه اللغة الميسرة السهلة التي صاغ بها كتابه، لا نلحظها في شرحه للجزولية فقد استخدم في شرحها لغة نحوية قديمة شابه فيها سيبويه والمبرد وابن جني وغيرهم من النحاة.

4/ الإكثار من الأمثلة السهلة الواضحة: ما أن تبدأ بقراءة الباب الأول من كتاب التوطئة حتى يلفت انتباهك كثرة الأمثلة التركيبية البسيطة فكأن الكتاب موجه لطلاب مرحلة المتوسط فزيد وعمرو حاضران بكل قوة في أمثلته. وتأتي هذه الأمثلة عادة قبل الاستشهاد بالآية القرآنية أو الشعر العربي. وكان يكتفي بالكلمة الواحدة كمثال في بعض الأحيان وهذا ماثل في كل صفحة من صفحات التوطئة.

5/ آلية الإيجاز: من أهم مظاهر سهولة المنحى التيسيري للكتاب هو أسلوبه في طرق الموضوعات فقد جاء موجزا إيجازا غير فحل بالقواعد والأحكام مع أنه ذكر جل أبواب النحو التي تحتاج إلى مجلدات لاستيعابها إلا أن هذه الأبواب استوعبت من خلال كتاب التوطئة بسهولة ويسر وقد ظهرت هذه السمة في الكتاب من خلال عدة قضايا أظهرها الشلوبين من أجل أن يبقى كتابه موجزا سهلا بعيدا عن التعقيد وهذه الوسائل هي:

أ-حجم الكتاب: قلنا أن كتاب التوطئة تقع في ثلاثين ومائتين (230ص) وهذا الحجم إلا أنه كان يضم أبواب النحو المختلفة ولكن بطريقة سهلة وموجزة. صغر حجم الكتاب يعطي انطباعا لطلاب النحو بأنه مختصر ولا يحوي التعقيد والخلاف.

ب-الإيجاز في طرق الموضوعات: إن أسلوب الشلوبين في طرق موضوعات النحو المختلفة كان موجزا لذلك فأنت ترى أن معظم أبواب الكتاب لا تتجاوز صفحتين أو ثلاثا (أنظر؛ التوطئة، باب التوكيد، باب البدل، وباب الحال، وباب القسم، وباب اسم الفاعل... من معظم أبواب الكتاب).

بل هناك بعض الموضوعات في الكتاب لا تتجاوز أسطرا قليلة مع أنها في كتب أخرى تبلغ صفحات كثيرة وطويلة. فالفاعل في كتاب التوطئة جاء في ثلاث أسطر فقط في حين نراه في شذور الذهب يقع في أربع وعشرين صفحة. وفي شرح الجزولية نراه يأخذ عشر صفحات (208-338-334-252-259-258-248). والحقيقة أن إيجاز الشلوبين لموضوعاته ما جاء إلا ليخدم هدفا واحدا فقط هو التسهيل والتسيير لأبواب النحو العربي التي عقدها وأبعدها عن هدفها التطويل والمبالغة في ذكر أحكامها وقضاياها.

ج-حذف غير الضروري: اعتمد الشلوبين هذا الأسلوب كثيرا في كتابه، فهو لم يضع في التوطئة غير المهم والمفيد وحذف من النحو ما يستغني عنه (كما طالب ابن قضاء) فهو يناقش من الموضوع المطروق أهمه، ويتبعه عن كل شيء لا يراه يفيد الطالب الناشئ فهو حينما ناقش باب الفاعل مثلا لم يتطرق إلى حذفه جوازا أو وجوبا، ولم يتطرق إلى تأنيث الفعل أو تذكيره. كما غاب عن شرحه له تقديمه وتأخيره والكثير من الأحكام التي كان يراها سببا رئيسيا لإدخال النحو العربي في فلسفة وزيادة لا حاجة له بها (ص154). وحين تناول باب الفاعل في شرح الجزولية فقد اتسم أسلوبه بالاستطراد والتطويل، فهو يفصل القضايا ويناقشها ويطرق جميع الاحتمالات. بدءا من تعريف الفاعل ومناقشة هذا التعريف إلى مناقشة العلة في رفع الفاعل وذكر الأحوال المختلفة في هذا العلة، ومن ثم ترجيح الرأي الأقوى. حسب رأيه –وهو "اشتغال الفعل بالاسم وتفرغه له وبناؤه عليه "الشلوبين، أبو علي: شرح المقدمة الجزولية الكبير، 232-234).

أما باب التنازع الذي يعد من أكثر الأبواب النحوية تعقيدا وصعوبة فقد أوجز الشلوبين القول فيه ولم يورد من أحكامه إلا اليسير الذي يوصل إلى المعنى والهدف بعيدا عن الصعوبة والتعقيد (ص252). وكذلك الأمر بالنسبة المفعول له (لأجله) فقد أسهب العلماء فيه وأطنبوا في ذكر مسائله الضروري فيها وغير الضروري. أما الشلوبين فلم يذكر في هذا الباب إلا ما هو مفيد لطلبة العلم والمبعد لهم عن الصعوبة والتعقيد (ص310).

وفي هذا الباب فقد ابتعد الشلوبين عن الحشو الزائد والكلام المسهب المطول واكتفى بشرح القاعدة مباشرة وبلغة بسيطة مدعمة بشواهد بسيطة سهلة، وأمثلة تركيبية حياتية. نحن جنحنا في هذا العمل إلى إثبات أن هذا الكتاب لم يحو إلا زبدة النحو وخلاصته لذلك حذف منه غير الضروري لطلاب النحو.

د- البعد عن الخلافات بين العلماء: نأى أبو علي الشلوبين في كتابه التوطئة عن ذكر مساجلات العلماء وأرائهم النحوية المختلفة في القضايا النحوية فهو يأخذ الرأي دون أن ينسبه إلى أحد وقليلا ما كان يذكر أكثر من رأي في المسألة وكان سيبويه أكثر العلماء ورودا في كتابه، حيث كان يذكر رأيه دون أن يناقشه أو يذكر أراء من يعارضه أو يسانده من العلماء (124-125) وكذلك الأمر مع بقية العلماء الذين جاء ذكرهم في هذا الكتاب فكان يأتي برأي الواحد منهم مجردا ولا يذكر من يخالف رأيه (112-123-133-263).

وما تعامل الشلوبين مع أعقد أبواب النحو "باب التنازع" إلا دليل واضح على بعده عن الآراء والمساجلات بين العلماء فهذا الباب كما هو معلوم من أكثر أبواب النحو التي أوقعت الخلاف بين النحاة وقد ناقشه الشلوبين بحوالي صفحة لا غير لم يذكر فيها أي رأي سواء أكان مؤيدا لرأيه أم مخالفا له، فجاء الكتاب بعيدا عن مساجلات العلماء واختلافاتهم، وبذلك يكون الشلوبين قد ضيع الفرصة على الذين يبحثون عن آراء العلماء، وخلافاتهم في كتابه لقلة ورود هذه الخلافات وتلك المساجلات فيه. فالتيسير يقتضي ذكر الرأي بعيدا عن تلك المساجلات، والخلافات التي لا داعي لوجودها.

هـ- البعد عن التأويل: لقد ابتعد الشلوبين قدر الإمكان عن التأويل المتكلف البعيد، وذلك في معظم مؤلفاته النحوية وكتاب التوطئة بخاصة فهو القائل "الأصل أن لا يلجأ إلى التأويل بوجود وجه لا يحتمل التأويل لأن عدم التأويل أولى" (شرح المقدمة الجزولية الكبير، ص487)، وكان البعد عن التأويل واضحا في كتاب التوطئة، وظهر ذلك جليا في تعامله مع الشواهد النحوية المختلفة، حيث خالف عددا من النحاة في الحكم الذي يبني عليه، فهو قد تعامل مع النصوص الشعرية والقرآنية بنوع من التجرد، وأخذ تلك النصوص على ظاهرها دون أن يتعب نفسه أو طلبته في تأويل المحذوفات أو تقديرها. ومن ذلك مثلا رفضه لتأويل البصريين لنصب كلمة "فاطلع" الواردة في قوله تعالى: "لعلي أبلغ الأسباب.. فأطلع إلى إله موسى" (غافر 36-37). برفض إشراب (لعل) معنى (ليت) كما يذهب البصريون وقال "لا يحتاج أن يشرب لعل معنى ليت" (ص138). فهو يكتفي بإيراد الشاهد دون أن يفصل فيه لكي لا يبتعد عن هدفه وهو التسهيل والتخفيف على طلبة النحو.

و- استخدام–التعليم الذاتي- بآلية الحوار: بما أن الهدف هو التعليم، والتيسير على الطلاب، كان لزاما على الشلوبين أن ينتج أسلوبا يحبب النحو إلى نفوس الطلاب، فاختار أن يجعل كتابه قائما على أسلوب الحوار، وكأنه تعليم دون معلم، فهو في صفحات كتابه يتخيل من يسأله وهو يجيب، ومن ذلك مثلا استخدامه لمصطلحات الحوار مثل: "ألا ترى، وتقول في قولك، فإن قلت" وغيرها من الكلمات التي توحي للقارئ بأنه جزء في الحوار، وتلقي التعلم وليس هذا العلم مفروضا عليه (التوطئة ص: 241-223-285-282-270، وغيرها...).

5/ التمثيل والاستشهاد: تعددت مصادر الاستشهاد في كتاب التوطئة بأنواعها المختلفة من شعر وقرآن

وحديث والأمثال المشهورة الفصيحة. وهو استشهاد للدلالة على ما ذهب إليه فحسب.

ا-الاستشهاد بأشعار العرب: أكثر الشلوبين من الاستشهاد بالشعر العربي فقد استشهد بثمانية وتسعين بيتا وعشرة أشطر، والحقيقة أن أبا علي الشلوبين يتمتع بسعة محفوظ كبيرة في الشعر، ومع هذا لم نر وفرة في الاستشهاد بالشعر لتجنب الصعوبات المترتبة عنه للطلاب.

وكان هدف الشلوبين من تلك الشواهد هو التمثيل فقط، فهو قد يكتفي بشطر يتضمن الشاهد فحسب (ص134-135-220-146-145-140 وغيرها)، وكان يكتفي بجزء من الشطر الحامل للشاهد، كما أنه لا يعتمد على الشاهد الشعري فقط من توضيح المقصود، بل نراه يأتي بالشاهد الشعري بعد أن ضرب عدة أمثلة مصنوعة (ص147-201...) فهو بهذه الطريقة يقوي الرأي الذي يذهب إليه.

كما غاب الشاهد الشعري في كثير من صفحات الكتاب (ص110-140) وغيابه في كثير من الموضوعات من أبواب: البدل، التوكيد، العلم، الظرف، المبتدأ والخبر وغيرها. وإمعانا في التسهيل والتيسير في استخدام الشواهد الشعرية فهو يرفض الشاهد الذي يخالف رأي الجمهور. كما طالب بحذف ما هو شاذ، وعدم الأخذ به، وكذلك رفض الضرورة الشعرية كما فعل في حديثه عن لغة "أكلوني البراغيث"، وينادي بحذفها ما جاء فيها من أشعار. لخروج الضمائر عن أصلها من الاسمية إلى الحرفية (ص157-158-177-178)، وكان أحيانا يقول عن الشاهد الشعري يحفظ ولا يقاس عليه، كما في حديثه عن فاعل نعم وبئس، فبعد أن استشهد بالبيت الأتي للشاعر كثير بن عبد الله النهشلي حول مجيء فاعل نعم مذكرا قال"يحفظ ولا يقاس عليه" (ص249).

فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم وصاحب الركب عثمان بن عفانا.

فالمشغل الإجرائي الذي حدى بالشلوبين إلى هذا الفعل ما هو إلا التسهيل والتيسير وهو ما نلمسه من تغييبه لأراء العلماء وتخميناتهم أثناء عرضه للشاهد الشعري.

ب-الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف: شهد عصر الشلوبين خلافا حول الاستشهاد بالحديث النبوي، والذي عده بعضهم سمة أصلية من سمات النحاة الأندلسيين في هذا العصر[11]. أي اختلافهم في الاستشهاد بالحديث. فما هو رأي الشلوبين في هذا الأمر. الحقيقة أن الشلوبين قد نأى بنفسه عن هذه الخلافات والتعقيدات التي صاحبت الاستشهاد بالحديث الشريف، ففي كتاب التوطئة لم يستشهد إلا بثلاثة أحاديث فقط جاء الأول في (ص176) والثاني (ص205). والثالث (ص305). والحديث الأول جاء في معرض حديثه عن اتصال الضمير؛ بأن وكأن، فأورد الحديث الشريف "كن أبا خثيمة فكنه" (ص176). وفي معرض حديثه عن المبتدأ والخبر أورد الحديث الذي رواه مالك في الموطأ: "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله" (ص205). والحديث الثالث جاء في حديثه عن المؤنث الذي لا علاقة فيه مما لا خرج له أن يعرف أنه مؤنث بالإشارة إليه والحديث هو "في كل ذات كبد رطبة أجرا" (ص305).

إن اكتفاء الشلوبين بهذه الأحاديث الثلاثة فقط في كتابه التوطئة شيء غريب عليه. لكن يمكن وضع تفسير لقلة استشهاد الشلوبين بالحديث النبوي في التوطئة فقط بينما نراه يكثر منه في كتبه الأخرى كشرح المفصل وشرحا الجزولية وهذا التفسير هو: أن هذا الكتاب ألف ليكون مختصرا وسهلا بعيدا عن الخلافات والنزاعات، وكان الحديث مصدرا من مصادر تلك الخلافات. لذلك لا يمكننا أن نتعجب من ابتعاد الشلوبين عن هذه الخلافات وردها في كتابه هذا. رغبة في التسهيل والتيسير ليبعد كتابه عن التعقيد ومصدر الخلاف كما ذكرنا.

ج-الاستشهاد بالأمثال العربية: لم يكثر الشلوبين من الاستشهاد بالأمثال العربية، فقد ورد في كتاب التوطئة تسعة أمثال استشهد بها على قضايا نحوية، وهدف استشهاد الشلوبين بالأمثال العربية لم يخرج عن هدف الاستشهاد الشعري، فهو يأتي بالمثل ليدلل على الرأي النحوي بعد أن يأتي بالأمثلة المصنوعة المبسطة (ص203)، وأحيانا كان يوضح هذا المثل ويبين هدفه (ص203-204)، وفي بعض الأحيان كان يذكر المثل دون تعليق عليه (ص271)، وذلك ليبتعد عن الخوض في مسائل تخريجاته المختلفة أو الخلافات فيه.

د-الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته: إن الاستشهاد بالقرآن الكريم يعد مصدرا من المصادر التي اعتمد عليها النحاة في وضع القواعد النحوية، ونتيجة لتعدد القراءات القرآنية المتواترة الصحيحة السبع منها أو الشاذ أدى هذا إلى إذكاء نار الخلاف بين النحاة، وعلى الخصوص الكوفيين والبصريين، فقد أقام الكوفيون عليها أحكاما نحوية قابلهم فيها البصريون بالرفض. وذلك بتخريج القرارات وتأويلها[12].

أما نحاة الأندلس فقد اهتموا بالقرآن الكريم وقراءاته حتى الشاذ منها، فلم يؤثر عن أحد من نحاة الأندلس أنه رد إحدى القراءات القرآنية الشاذة أو توقف عن الأخذ بها، إن أبا علي الشلوبين في التوطئة أورد قرابة الثمانين شاهدا قرآنيا. ومع ذلك فإن هذه الشواهد القرآنية لم تخرج عن الهدف المرجو منها، وهو تأصيل الحكم وتأييده وليس من أجل المخالفة أو التعقيد بل نحت استشهاداته إلى السهولة واليسر، ومن الأمثلة التي نرى فيها أن الشلوبين قد جعل من الشواهد القرآنية سبيلا إلى التسهيل والتخفيف وليس التعقيد أو لإبراز القوة في الحجة والمنطق الأمثلة التالية:

1-قوله تعالى: "ولأصلبنكم في جذوع النخل" (طه،71) رفض الشلوبين أن تكون (في) الواردة في الآية أنه حشو وزيادة، والصواب أن (في) على بابها ولا داعي للتقعر وتحويل الحرف إلى غير معناه (ص227).

2-قوله تعالى: "من أنصاري إلى الله" (الصف،14) أكد الشلوبين على أن "إلى" جاءت على الأصل ولم تخرج إلى معنى آخر (ص227).

3-قوله تعالى: "فبهداهم اقتد«ه»" (الأنعام،90) فالشلوبين في سبيل تيسيره للنحو وعدم الغوص في الخلافات النحوية رفض إعراب الضمير (الهاء) مفعولا مطلقا على سبيل التخفيف والوصول إلى الهدف بوضوح وليس كما قال البعض إن هذه الهاء هي (هاء) السكت، وما يتبع ذلك من اختلاف في القراءة يؤدي إلى اختلاف نحوي يرفض الشلوبين وجوده في كتاب التوطئة ولا يرضى أن يورد أقوال العلماء (ص176).

والأمثلة على رفض الشلوبين أن يكون الشاهد القرآني في كتاب التوطئة مصدرا للتعقيد والخلاف كثيرة.

أ-عدم شرح الآيات القرآنية أو التعليق عليها: أسلوب واضح من أساليب تناول الشلوبين للآية القرآنية. فهو ما كان يشرح الآيات إطلاقا بل يكتفي بذكر الآية موطن الشاهد فقط ولا يبدي أي رأي حولها. سواء كان من المؤيدين لرأيه أم المخالفين له. وذلك خوفا من أن يحشو كتابه بآراء لا يرى فيها فائدة. بل هي تبعد الكتاب عن هدفه الأصلي وهو التخفيف وطرح أبواب النحو بشكل مختصر ميسر ليسهل فهمه وحفظه. والكتاب كله تقريبا يتبع هذا الأسلوب في تعامله مع الآية القرآنية (ص 176-138-139-142).

ب-الاكتفاء بموطن الشاهد في الآية: كان الشلوبين قد لا يذكر الآية كاملة وإنما موطن الشاهد وهو بهذا العمل يكون قد أبعد القارئ عن مشقة البحث عن الشاهد أو موطن هذا الشاهد. وزيادة في التسهيل على القارئ كأن يذكر كلمة واحدة أو كلمتين فقط في الآية منه مثلا كلامه عن الباء التي تكون زائدة في الفاعل فاستشهد بالآية الكريمة: "كفى بالله" (ص229-234-239-305...).

ج-عدم ذكر آراء العلماء في الآية موطن الشاهد: إن الهدف من التوطئة هو التخفيف والتسهيل والإيجاز ومن ثمة كان يرى أن هذا الهدف لا يتطلب وجود الآراء المتعددة والمتنوعة في تخريج الشاهد القرآني بل كان يذكر الآية دون ذكر لأي رأي مؤيد أو معارض.

د-البعد عن القراءات الشاذة قدر الإمكان: حرص الشلوبين على أن يختار القراءات المتواترة الصحيحة لتكون شاهدا على أرائه النحوية الواردة في الكتاب لذلك تجنب الاستشهاد بالقراءات الشاذة إلا يسيرا.

فحرص الشلوبين على تحري الصحيح المتواتر من القراءات لم يحل دون ورود بعض الآيات التي جاءت على قراءات شاذة وهي لا تكاد تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة مثلا استشهاده بالآية: "إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء" (البقرة 284). حيث وردت هذه الآية بقراءة ابن عباس والأعرج[13]. وفيها نصب كلمة "..فيغفر.." ويعذب.." وهذه قراءة شاذة، وكذلك استشهد بالقراءتين الشاذتين "ما بعوضة"[14]. والقراءة الثانية "تماما على الذي أحسن" (الأنعام 154) برفع أحسن وهي قراءة الحسن البصري ويحي بن يعمر والأعمش وابن أبي إسحاق[15].

تلك كانت القراءات القرآنية الشاذة التي وردت في كتاب التوطئة وقد كان الشلوبين متشككا في صحتها لذلك فقد كان أمينا في عرضه لها وحتى لا يوقع طلاب العلم في الخلافات فقد أوضح في أثناء حديثه عن هذه الآيات بأنها ليست صحيحة متواترة وأنها شاذة فكان يقول "وعليه قراءة من قرأ "ما بعوضة" رفعا (ص166) وكذلك قال في الآية الأخرى بمثله قراءة من قرأ "تماما على الذي أحسن"[16]. فكلامه (قراءة من قرأ) توحي لنا بأن هذه الآيات ليست كباقي الآيات التي كان يذكرها دون أن يذكر هذه الجملة وإنما جاء بهذه العبارة لتوحي بأن هذه القراءة شاذة وليست متواترة.

هـ-البعد عن التعليل والتقدير من الآيات القرآنية: اجتهد الشلوبين في الابتعاد عن التعليل في أثناء معالجته للشاهد القرآني ومنه على سبيل المثال لا الحصر رفضه تعليل الآية "فاطلع إلى إله موسى".

ومما سبق ندرك أن الشلوبين قد نجح في تطويع الشاهد اللغوي من أجل خدمة غايته التي من أجلها صنف كتاب التوطئة وهو التسهيل والتيسير فقد جعل من هذا الشاهد وسيلة لهذا الهدف.

مصادر البحث

- ابن الزبير أبو جعفر أحمد: صلة الصلة، مكتبة الخياط، بيروت.
- أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط4، الكويت، 1982.
- أحمد مختار عمر وزميله: معجم القراءات القرآنية، عالم الكتب ط2، 1997.
- ألبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية (د.ط)، بيروت، 1967.
- التواتي بن التواتي: هل النحو العربي في حاجة إلى تسيير، مجلة اللسانيات الجزائر، 20013، ع8.
- الشلوبين أبو علي: التوطئة (تحقيق ودراسة يوسف أحمد المطوع) دار التراث العربي، القاهرة، 1973.
- الشلوبين أبو علي: شرح المقدمة الجزولية الكبرى (تحقيق تركي العيشي) مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت 1994.
- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تر محمد أبو الفضل إبراهيم). المكتبة العصرية (د ط)، بيروت (د.ت)، ج1، ج2.
- عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار المعرفة الجامعية (د.ط) مصر، 1992.

- عبد القادر رحيم الهيثي: خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، جامعة قار يونس، ط2، ليبيا، 1993.
- ولد أباه محمد المختار: تاريخ النحو في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسكو. 1996م.
- مجلة أعمال ندوة تيسير النحو، الجزائر 2001، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.

هوامش البحث

[1] - ينظر،ألبير حبيب مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية (د.ط)، بيروت، 1967.

[2] - التواتي بن التواتي: هل النحو العربي في حاجة إلى تسيير، مجلة اللسانيات الجزائر، 20013، ع8، ص3.

[3] - ابن الزبير ابو جعفر أحمد: صلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، ج7، ص 70-71 .

[4] - محمد المختار ولد أباه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص393.

[5] - السابق نفسه، ص296

[6] - عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار المعرفة الجامعية (د.ط) مصر، 1992.

[7] - ابن خلدون، عبد الرحمان: المقدمة، (تحقيق علي عبد الواحد وافي)، القاهرة، 1960 ، ج2، ص1240

[8] - الشلوبين أبو علي: التوطئة، (تحقيق ودراسة، يوسف أحمد مطوع)، دار التراث العربي، القاهرة، 1973 .

[9] - ابن الزبير أبو جعفر أحمد: صلة الصلة، مكتبة خياط، بيروت، ج7، ص 70-71 .

[10] - السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تحقيق،محمد ابو الفصل ابراهيم)،القاهرة، 1964، ج2، ص 224

[11] - ينظر، الهثي عبد القادر رحيم: خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال ق7هـ، ، جامعة قار يونس، ط2، ليبيا، 1993. ص156

[12] - أحمد عمر مختار وزميله: معجم القراءات القرآنية، عالم الكتب، ط2 ، 1997 . 183/1.

[13] - السابق نفسه

[14] - الهيثي عبد القادر رحيم: خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال ق7هـ، ص 183 .

[15] - السابق ، ص 14-15 .

[16] - السابق ، ص 166 .